ISSN: (3006-8614)
E-ISSN: (3006-8622)
Journal of Alma'rifa for Humanities
available online at: https://uomosul.edu.iq/womeneducation/almarifa/

The Quranic Objectives in Surat Al-Qalam - An Interpretive Study

Razan Mohammad Gameeil
University of Mosul /College of Education for women

***Corresponding author: E-mail :**
razan.habbal@uomosul.edu.iq

***Keywords*:**
The Quranic Objectives, Surat Al-Qalam, The Disjointed Letters.

ARTICLE INFO

Article history:
Received **12.Oct.2024**
Accepted **15. Nov.2024**
Available online **18. Mar.2025**

Email:
almarefaa.ecg@uomosul.edu.iq

Journal of Alma'rifa for Humanities
Journal of Alma'rifa for Humanities

A B S T R A C T

The topic was chosen for the importance of Surat Al-Qalam, which is one of the first Meccan surahs revealed in defense of the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him). It also contains sublime objectives that reflect the fundamental issues of the Islamic call and the ethics of the Messenger (peace and blessings be upon him). The research aims to uncover the most important Quranic objectives addressed by the surah, extract lessons learned from it, and shed light on the status of the Prophet (peace and blessings be upon him) and the necessity of adhering to Islamic ethics in the face of challenges. The research was based on the inductive and analytical approach, as the most important main topics included in the surah were extrapolated and the most important Quranic objectives they referred to were derived, relying on what was mentioned in the books of language, interpretation, and Quranic objectives. The research yielded several results, the most important of which is the surah's defense of the Prophet (peace and blessings be upon him), exonerating him from the accusation of insanity, affirming his lofty status with God, and highlighting the importance of knowledge and learning. The surah opens with the word "the pen" as a reference to the value of knowledge, and stressing the necessity of patience and steadfastness as a means of facing trials.

© 2025AJHPS, College of Education for Girls, University of Mosul.

المقاصد القرآنية في سورة القلم –دراسة تفسيرية –

رزان محمد جميل
كلية التربية للبنات / جامعة الموصل

الخلاصة:

تم اختيار الموضوع لأهمية سورة القلم والتي تعدّ من أوائل السور المكية نزولاً دفاعًا عن النبي محمد ﷺ، ولما تحويه من مقاصد جليلة تعكس القضايا الجوهرية في الدعوة الإسلامية وأخلاقيات الرسول ﷺ. ويهدف البحث في الكشف عن أهم المقاصد القرآنية التي تناولتها السورة واستنباط الدروس المستفادة منها، وتسليط الضوء على مكانة النبي ﷺ وضرورة التزام الأخلاق الإسلامية في مواجهة التحديات. وقد قام البحث على المنهج الاستقرائي والتحليلي، إذ تم استقراء أهم الموضوعات الرئيسة التي تضمنتها السورة واستنباط أهم المقاصد القرآنية التي أشارت اليها، بالاعتماد على ما ورد في كتب اللغة والتفسير والمقاصد القرآنية.وخرج البحث بنتائج عديدة من اهمها دفاع السورة عن النبي ﷺ وتبرئته من تهمة الجنون، وتأكيد مكانته الرفيعة عند الله، وإبراز أهمية العلم والمعرفة، حيث جاء استفتاح السورة بالقلم كإشارة إلى قيمة العلم، والتشديد على ضرورة الصبر والاستقامة كوسيلة لمواجهة الابتلاءات.

الكلمات المفتاحية: المقاصد القرآنية، سورة القلم، الحروف المقطعة

المقدمة

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله الأطهار وصحبه الاخيار، أما بعد... فإن سورة القلم سورة عظيمة، تضمنت مقاصد جليلة، ومن هذا المنطلق جاء البحث الموسوم بـ (المقاصد القرآنية في سورة القلم -دراسة تفسيرية-).

يهدف البحث بالكشف عن أهم المقاصد القرآنية التي تضمنتها سورة (القلم)، ومعرفة القضايا الجوهرية التي تناولتها، فهي سورة نزلت دفاعاً من الله تعالى عن رسوله الكريم ﷺ وأشارت الى مكانته ﷺ العالية عند الله تعالى.

وقد قامت منهجية البحث على استقراء واستنباط أهم المقاصد التي تضمنتها آيات سورة القلم، وذلك عند تتبع كلام اهل العلم في مظانه من كتب اللغة، مثل: معجم العين، ومقاييس اللغة، ولسان العرب؛ فضلاً عما قاله المفسرون عند تفسيرهم للسورة الكريمة، ومن اهم كتب التفسير المعتمدة في البحث، تفسير الطبري، وفتح القدير، ومفاتيح الغيب، وفي ظلال القرآن، وغيرها، وكذلك الرجوع الى كتب المقاصد القرآنية و من أهمها روائع التفسير للدكتور محمد عبد الله دراز (رحمه الله).

وقد جاءت خطة البحث بعد المقدمة مقسمة الى تمهيد ومبحثين، لكل مبحث ثلاث مطالب، ثم ختم البحث بأهم النتائج، أما التمهيد فقد تضمن اهم التعاريف اللغوية والاصطلاحية لمفردات العنوان وتعريف عام ملخص بسورة القلم، ثم المبحث الاول تضمن استنباط اهم المقاصد القرآنية (العامة) التي أشارت إليها سورة القلم، وتضمن ثلاث مطالب، الأول بعنوان: (المقصد القرآني في الدفاع عن الرسول ﷺ)، الثاني: (المقصد القرآني في أولية السورة في التحدي)، وختم المبحث بالمطلب الثالث بعنوان:(المقصد القرآني في أسرار الحروف المقطعة في الحرف (ن) ومعانيه)، أما المبحث الثاني فقد تضمن استنباط اهم المقاصد القرآنية (الخاصة) في سورة القلم، وفيه ثلاث مطالب؛ الأول:(المقصد القرآني في بيان أخلاق الرسول ﷺ)، والثاني: (المقاصد القرآنية في قصة أصحاب الجنة)، والثالث:(المقاصد القرآنية في مآل المكذبين

والمتقين).

هذا وفي الختام أسأل الله تعالى ان أكون قد وفقت في جهدي المتواضع وان يكون ما قدمت خالصا لوجهه الكريم، فإن أصبت فالتوفيق منه تعالى وان أخطأت فلي اجر المحاولة، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

تعريفات لغوية واصطلاحية والتعريف بسورة القلم

المطلب الأول: تعريف المقاصد القرآنية في اللغة والاصطلاح:

اولاً: المقاصد لغةً واصطلاحا:

المقاصد في اللغة: اصلها من الفعل الثلاثي (قَصَدَ)، جمع مقصد وهو مصدر ميمي مأخوذ من الفعل (أقَصَدَ من باب ضَرَبَ)، وله معاني عدة:

1. الاعتماد والأَمُّ: قال ابن فارس "الْقَافُ وَالصَّادُ وَالدَّالُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ، يَدُلُّ أَحَدُهَا عَلَى إِتْيَانِ شَيْءٍ وَأَمِّهِ، وَالْآخَرُ عَلَى اكْتِنَازٍ فِي الشَّيْءِ، فالأصل قَصَدته قصداً ومقصداً، ومن الباب اقصده السهم إذا أصابه فقُتل مكانه، وكأن قيل ذلك لان لم يحد عنه". (ابن فارس، 1979م، 95/5) (ابن منظور، 1414هـ، 353/3)
2. العدل: هو متردد بين المحمود والمذموم كالواقع بين العدل والجور، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾. [فاطر: ٣٢]. (الاصفهاني، ١٤١٢هـ، 672).
3. القرب: "القاصد: القريب، قوله تعالى ﴿سفرًا قَاصِدًا﴾ [التوبة: ٤٢]. أي سفر متوسط غير متناهي في البعد، وربما فسر بالقريب". (الاصفهاني، ١٤١٢هـ، 672)
4. الاقتصاد: يقال: "ورجل ليس بالجسيم ولا بالضئيل". (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥م، 310/1)

بعد سرد مفصل للمعني اللغوية للفظة (مقصد) يمكن القول ان المعنى القريب الذي يتعلق بموضوع البحث هو الاتيان والأم والاستقامة والقرب، كون مقاصد السورة تكون من خلال ما يدل عليه النص من معنى قريب مستقيم يريده

الله تعالى بحسب فهم المفسر الذي يؤتيه، فيستنبط المقصد والهدف الذي تتضمنه السورة او الآيات الكريمات.

المقاصد في الاصطلاح: "هي الأعمال والتصرّفات المقصودة لذاتها، والتي تسعى النفوس إلى تحصيلها بمساعٍ شتى، أو تُحمل على السعي إليها امتثالاً". (ابن عاشور، 2004 م، 3/ 402).

ثانياً: (القرآن) في اللغة والاصطلاح:

القرآن في اللغة أصله من قرأ، قال ابن فارس: "يقولون ما قرأت هذه الناقة سلى، كأنه يراد أنها ما حملت قط". (ابن فارس، 1979م، 396/2)، أي لم يضم رحمها على ولد ولم تجمع جنيناً. (ابن منظور، 1414هـ، 78/11).

ولفظة (القرآن) في اللغة لها معان أخرى عديدة:

1. من أقرأت المرأة أي خرجت من حيض الى طهر أو من طهر الى حيض. (ابن منظور، 1414هـ، 78/11).
2. قرأ بمعنى تلا، وتقول قرأ قرءاً، وقرآناً، كما تقول عَفَرَ غَفْراً وغُفْراناً، فعلى هذا المعنى (تلا) يكون مصدراً بمعنى اسم المفعول. (ابن منظور، 1414هـ، 28/11)
3. من الجمع والضم، لأنه جمع السور فيضمها، وجمعه أنواع العلوم كلها. (الزركشي، ١٩٥٧م، 1/ 277)
4. التنسّك، " ورجل قاري عابد ناسك، ...قال الفراء: يُقال رجلٌ قُراءُ وامرأة قراءةً، ويقال قرأتُ. أي صارت قارئة ناسكاً" . (الفراهيدي، (د.ت)، 5/ 205)
5. (القرآن) اسم علم مشتق خاص بكلام الله ولم يؤخذ من (قرأت)، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والانجيل. (ج. السيوطي، ١٩٧٤م، 1/ 181)

وقد عرّف الدكتور محمد عبدالله دراز القرآن في اللغة تعريفاً شاملاً مانعاً، بقوله:" القرآن في الأصل مصدر على وزن فعلان بالضم، كالغفران والشكران والتكلان، وتقول قرأته قرها وقراءة وقرآناً بمعنى واحد، أي تلوته تلاوة، وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدري في قوله تعالى: ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ

فإذا قرأناه فاتبع قرانه ﴿ [القيامة:١٧– ١٨]". (م. دراز، النبأ العظيم 1426هـ – 2005 م، 14)

القرآن اصطلاحاً:" كلام الله المنزل على رسوله محمد وحيا بواسطة جبريل (عليه السلام)، المكتوب في المصاحف والمحفوظ في الصدور". (الجرجاني، ١٩٨٣ م، 174) (المناوي، 1990م، 269)

أما تعريف (المقاصد القرآنية) كعلم مستقل: هي الغايات التي انزل القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد (حامدي، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م، 29)، وبتعريف آخر أنها: "القضايا الأساسية، والمحاور الكبرى التي دارت عليها سور القرآن الكريم وآياته، تعريفاً برسالة الإسلام وتحقيقا لمنهجه في هداية البشر". (بودوخة، 2011، 956).

أو "هي الغايات التي أرادها الله – عز وجل – في كتابه، أو هو (مراد الله – عز وجل – من كلامه) (يوسف، ٢٠٢٠م، 35).

ويمكن القول ان المعنى الجامع للمقاصد القرآنية هي ما يوجهه القرآن بخطابه من مقصد كل بكل، وايضاً مقصد جزئي والمكتنزة في المعاني المتنوعة.

المطلب الثاني: التعريف بسورة القلم:

أولاً: اسم السورة وعدد آياتها:

سميت سورة القلم بأسماء عدة وهي:

1. (القلم) لافتتاحها بما اقسم الله تعالى به، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ ﴾ [القلم :1]

إذ اقسمَ الله تعالى بالقلم تعظيماً له، لما له في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة، ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها وصف وما يسطرون وما يكتب من كتب، (الزمخشري ١٤٠٧هـ، 4/ 584)، والمراد بالقلم عند الاكثرين الجنس؛ اي أن الله سبحانه اقسم بكل قلم يكتب به في السماء وفي الأرض. (حوى، 1424هـ، 29/ 41).

2. (نون) فقد ذهب بعض المفسرين بالاقتصار على الحرف المفرد ﴿نٓ ۚ﴾

الذي افتتحت به مثل ما سميت سورة (ص) وسورة ق. (ابن عاشور، ١٩٨٤م، 29/ 57).

3. (ن، والقلم) على حكاية اللفظين الواقعين في أولها اي سورة هذا اللفظ كما جاء في قوله تعالى ﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ ﴾ . (ابن عاشور، ١٩٨٤م، 29/ 58)

أما عدد آيات سورة القلم، وكلماتها، وحروفها، هو اثنان وخمسون آية وثلاثمائة كلمة، وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا ليس فيها اختلاف. (ا. الواحدي، ١٩٩٤م، 4/ 332) (البيضاوي، 1418هـ، 233/2).

أما الفواصل فقد ذهب بعض العلماء أن في السورة موضعان ما يشبه الفواصل هما؛ تَعَالَىٰ:﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ ﴾ [القلم: آية ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ﴾ [القلم: آية ٤٨] (الداني، 1994م، 1/ 252).

ثانياً: مرحلة نزول السورة: اختلفت أقوال العلماء، في مكية سورة القلم، ومدينتها، فقد ذهب الجمهور الى أن سورة القلم، كلها مكية، ويرى ابن عباس، وقتادة، أن بعض آياتها مكي وبعضها الاخر مدني: (سعيد، 2002م، 88)

- فهي مكية من أولها قوله تعالى: ﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ إلى قوله تعالى :﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾ ، ومن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾ إلى قوله تعالى:

﴿ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (القرطبي، 1964م، 222/20).

- ومدنيه من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ، ومن قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ إلى قوله تعالى :﴿ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (القرطبي، 1964م، 222).

- وما بقي منها فهو مكي (القرطبي، 1964م، 222).

ثانياً: الترتيب الزماني والمكاني لسورة القلم:

1. الترتيب الزماني لسوره القلم، أنها من أوائل السور نزولاً، فقد روى ابن عباس (رضى الله عنه) أنها نزلت ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق:1]، ثم القلم، ثم المزمل، ثم المدثر. (المراغي، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م، ٣٠/ 26)

2. أما ترتيبيها المكاني، فهي السورة الثامنة والستون من القرآن حسب ترتيب المصحف وتقع في الجزء التاسع والعشرين بعد سورة الملك وقبل سورة الحاقة. (السيوطي، (د.ت)، ٢٠١).

ثالثاً: أسباب نزول السورة والناسخ والمنسوخ فيها:

من أسباب نزول هذه السورة العظمية:

أولاً: قوله تعالى:﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ ﴾ .

أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: كانوا يقولون للنبي ﷺ أنه مجنون ثم شيطان فنزلت ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: آية٢] فحينما علم كفار قريش ما حدث مع رسول الله ﷺ في غار حراء من نزول جبريل (عليه السلام)عليه وتبليغه الرسالة، اتهموا رسول الله ﷺ بالجنون وأنه يدعي النبوة، فنزلت سورة القلم لتثبيته والدفاع عنه، وردًا على كفار قريش وإنذارًا لهم بالعذاب على كفرهم وجحودهم. (السيوطي، (د.ت)، 200) (جعفر شرف الدين، ١٤٢٠هـ، 103).

ثانياً: قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ ﴾ .

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: «أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَتْ: «إِنَّ خُلُقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنُ». (أحمد بن حنبل، ١٤٤٠هـ – ٢٠٠١م، 308/41) رواه الإمام أحمد : مسند الصديقة عائشة (رضي الله عنها)، رقم الحديث:٢٤٨٠٠.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ .

اخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال:" نزلت في الأسود بن عبد يغوث، او عبد الرحمن بن الأسود، والمشهور أن الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة، أخرج جرير عن أبن عباس قال: نزلت على النبي ﷺ ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ ﴾ ، فلم نعرفه حتى نزل عليه بعد ذلك ﴿ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ فعرفتاه له زنمه كزنمة الشاة". (الزحيلي، ١٤١١ هـ - ١٩٩١، 54/٣٢)

رابعاً: قوله تعالى:﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

"أخرج ابن أبي حاتم عن جريج أن أبا جهل، قال يوم بدر خذوهم أخذا فاربطوهم في الحبال، ولا تقتلوا منهم أحداً فنزلت: ﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ ، اي في قدرة أهل مكة على المؤمنين كما اقتدر أصحاب الجنة على الجنة". (السيوطي، (د.ت)، 201).

خامساً: قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ ﴾.

"نزلت حين أراد الكفار أن يعينوا رسول الله ﷺ فيصيبوه بالعين، فنظر اليه قوم من قريش، فقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه، وكانت العين في بني أسد حتى إن كانت الناقه السمينة والبقرة السمينة، تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول: ياجارية خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه، فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر". (الواحدي، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، 443)

ثانياً: الناسخ والمنسوخ في سورة القلم: "سورة القلم من أَوَائِل مَا نزل من الْقُرْآن وَكَانَ رَسُول الله ﷺ يعجب بهَا وفيهَا آيتان منسوختان وسائرها مُحكم والمنسوخ، مِنْهَا قَوْله تَعَالَى: ﴿ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾، نصفهَا الاول مَنْسُوخ بِآيَة السَّيْف ، وَنِصْفهَا الثَّانِي مُحكم، والْآيَة الثَّانِيَة: قَوْله تَعَالَى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ ﴾،

ظَاهِرَة مُحكم والمنسوخ مِنْهَا امْرَهْ بِالصبرِ نسخ الله تَعَالَى الصَّبْر مِنْهَا بِآيَة السَّيْف" (المقري، ١٤٠٤ هـ، 183) .

المبحث الأول

المقاصد القرآنية (العامة) في سورة القلم

يتناول المبحث أهم المقاصد العامة المتضمنة في سورة القلم نبينها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: المقصد القرآني في الدفاع عن الرسول ﷺ:

يدور محور سورة القلم وموضوعها حول الدفاع عن رسولِ الله ﷺ وتبرئته من جميع التهم الباطلة التي وجهها إليه الكافرون فهو من أهم مقاصدها، تطيب لقلب الرسول ﷺ بتبرئته من تهمة السفة والجنون التي رماه بها المكذبون، وشهادة له، من الله بما هو في الطرف الأقصى من هذه التهمة، ألا وهو علمه الراسخ وخلقة العظيم، وأمره بالصبر. (دراز، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م، 295).

ابتدأت سورة القلم باتهام الرسول ﷺ بالجنون وأنه يدعي النبوة فجاءت هذه الآيات لتفند مزاعم هؤلاء المشركين وتبين قدر رسول الله ﷺ وشرفه، وتبرئيهُ مما اتهمه به المشركون في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ ﴾ ولذلك ختمت السورة أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بأن يصبر على أذى المشركين، وبينت له مكانة القرآن العظيم الذي انصرفوا عنه بقوله تعالى:

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٢ ﴾ (السيوطي، ١٤٢٦هـ، 74).

وقد نفى الله تهمة الجنون عن نبيه، ممتدحاً له ﷺ على حسن خلقه، واتصافه بالصفات الحميدة، وتخلقه بأخلاق القرآن، وكونه القدوة الحسنة للمسلمين، هدد الله تعالى وأوعد الكفار بأنهم سيعلمون حين يتبين الحق والباطل في الدنيا و، أثبت الله تعالى الأجر والفضل العظيم لنبيه الكريم على تبليغه الدعوة من غير نقصان في أجره، ووعد الله تعالى الناس بأن يأتي يوم يكشف به حقيقة صدق نبيه، وحقيقة الذين كفروا وكذبوا به.

وتعددت أقوال المفسرين في المعنى الذي أضافة قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ﴾ إلى سياق الآية الكريمة ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾ :

1. فمنهم من ذهب إلى أن معناها انتفى عنك الجنون بنعمة ربك او هي كقولهم ﴿الحمد لله﴾ أي: ما أنت بمجنون الحمد لله، وقيل: ما انت بمجنون والنعمة لربك، أو ما أنت بمجنون، والحمد لله (الشوكاني، ١٤١٤هـ، 319/5).
2. قوله بنعمة ربك كلام وقع في الوسط، أي: انتفى عنك الجنون بنعمة ربك (البغوي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، 178/8).
3. وقيل معناه ما أنت بمجنون، والنعمة لربك، كقولهم: سبحانك اللهم وبحمدك، أي والحمد لله، وأنت بنعمة الله فهم، وأنت بنعمة الله لست بفقير، ومعناه أن تلك الصفة المحمودة إنما حصلت، والصفة المذمومة إنما زالت بواسطة إنعام الله ولطفه وإكرامه. (البغوي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ١٨٧/٨) .
4. وقيل: الباء متعلقة بمضمر هو حال، كأنه قيل: أنت بريء من الجنون متلبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة (الشوكاني، ١٤١٤هـ، ٣١٩/٥).
5. وقيل الباء للقسم، أي: وما أنت ونعمة ربك بمجنون، نفي الجنون عنه ثم إنه تعالى قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها وذلك لأن قوله: بنعمة ربك يدل على أن نعم الله تعالى كانت ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية، والبراءة من كل عيب، والاتصاف بكل مكرمة وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينافي حصول الجنون، فالله تعالى نبه على هذه الدقيقة لتكون جارية مجرى الدلالة اليقينية على كونهم كاذبين في قولهم له: إنه مجنون. (القرطبي، 1964م، ٥/ ٢٢٥).
6. وقيل: النعمة هنا الرحمة (الشوكاني، ١٤١٤هـ، ٥/ ٣١٩).

المطلب الثاني: المقصد القرآني في أولية السورة في التحدي:

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي نزلت على النبي محمد ﷺ ومن شروطها أن يتحدى بها، ومن مظاهر التحدي في القرآن الكريم هو افتتاحه بالحروف المقطعة. (م. دراز، ٢٠٠٨م، 194)

فهي السورة الأولى التي جاء فيها التحدي في الإتيان بمثل هذا القرآن ولو بحرف منه بقوله تعالى :﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ والقسم بالقلم وما يكتب به إشارة إلى عظم النعمة بهما، وأنهما من أجلّ النعم على الإنسان بعد النطق والبيان، فهما طريق التثقيف وانتشار العلوم والمعارف بين الجماعات والأمم والأفراد، ودليل على تقدم الأمم والشعوب ونبوغها. (الزحيلي، ١٤١١ هـ – ١٩٩١، ٣٢ /٤٥-٤٦)، عن ابن عباس (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم والحوت، قال للقلم: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة» ثم قرأ ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ كتاب التفسير: تفسير سورة (ن): ح(٣٨٤٠). قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه، (النيسابوري، 1411هـ –1990م، ٢/ ٥٤٠) ، وكان أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك ثم نون، ثم المزمل، ثم المدثر وأول تحدي وقع في القرآن الكريم بالحرف المقطع في سورة القلم الذي افتتحت بها ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ﴾ إذ ليس في سورة العلق ولا في المزمل ولا في المدثر إشارة إلى التحدي ولا تصريح (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ٢٩/٥٨).

فلما أن سورة (أقرأ) كانت أول ما نزل على النبي محمد ﷺ لتؤكد على أن العلم هو طريق الهداية إلى الله تعالى جاءت بعدها سورة القلم بالتحدي الأول بالحرف (ن) لِتُعجِزَ العرب على الاتيان بمثل هذا القرآن على الرغم أن حروفه هي نفسها الحروف التي تُؤَلف لغتهم التي يتكلمون بها، لتكون دليلاً قاطعاً على أن هذا القرآن وحي من الله تعالى وليس من كلام البشر.

المطلب الثالث: معاني الحرف المقطع (ن) وأهم المقاصد القرآنية من افتتاح السورة به:

من معاني الحرف (ن)، فقد روى معاوية بن قرة عن أبيه يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: إن (ن) لوح من نور و(القلم) قلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة (الطبري، 1420 هـ - 2000 م، 5221/23)، وقال جعفر الصادق: "هو نهر من أنهار الجنة يقال له نون" (الطبري، 1420 هـ - 2000 م، ٥٢٤٥/٢٣)، وقيل هو اسم لحوت عليه الأرض يقال له: اليهموت، عن ابن عباس ﴿خلق الله تعالى النون فبسطت الأرض عليه فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال ثم قرأ ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ (الطبري، 1420 هـ - 2000 م، ٥٢٤٥/٢٣)، وروى ثابت البناني أن (ن) الدواة وقاله الحسن وقتادة، وروى الوليد بن مسلم قال: حدثنا مالك بن أنس عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قول تعالى: (ن والقلم) ثم قال له اكتب قال: وما أكتب قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة" - قال-" ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة") (الآلوسي، ١٤١٥هـ، ١٥/ ٢٧) .

والحرف المقطع (ن) اسم للحرف الهجائي المعروف (نون)، وقد قصد به التحدي؛ فضلاً أنه يمثل أحد اسماء السورة، وقد أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها (خطاب، 2011م، 6)، وهو من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى، وفي فوائد ذكرها طلب الإيمان بها، قال أبو بكر الصديق: "في كل كتاب سر وسر الله تعالى في القرآن أوائل السور" (الرازي، ١٤٢٠ هـ، ٢/ ٢٥٠)، وقال:" هي أسماء الله تعالى (مقطعة) لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم. ألا ترى أنك تقول الر، وحم، ون، فتكوّن بمجموعها اسم:(الرّحمن)" (الاندلسي، ١٤٢٢ هـ، ٣٤٥/٥).

وقد ذكر المفسرون معاني عديدة في افتتاح الحرف المقطع (ن) لسورة القلم:

1. لقد كان لذكر الحروف المقطعة في فواتح السور أثر وواقع كبير وسبب لحفظ القرآن وحمايته من التحريف، تجلى فيها حفظ القرآن عبر العصور، ولم يمسسه ما مس غيره من الكتب المنزلة على الأنبياء من تحريف وتبديل. (الشنقيطي، ١٤١٥هـ – ١٩٩٧م، ٢٤٥/٨)

2. جاءت الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن، ولهذا جاءت على غير ما ألفه العرب، لتكون أجلب لانتباههم، وأقرع لآذانهم وقلوبهم (خطاب، 2011م، 171).

المبحث الثاني

المقاصد القرآنية الخاصة في سورة القلم

المطلب الأول: الوصف القرآني لخلقه ﷺ :

ابتدأت السورة الكريمة بالقسم على رفع قدر الرسول ﷺ وشرفه وبراءته مما ألصقه به المشركون من اتهامه بالجنون حاشاه، وبينت هذه الآيات أخلاقه العظيمة، ومناقبه السامية.

قال تعالى :﴿ نٓ ۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾

فقد رمت قريش الرسول ﷺ بالجنون، وهو ستر العقول، بمعنى أن كلامه خطأ ككلام المجنون، فنفى الله تعالى ذلك عنه وأخبره بأن له الأجر، وأنه على الخلق العظيم، تشريفا له ومدحا به عليه افضل الصلاة واتم التسليم. (الاندلسي، ١٤٢٢ هـ، ٥ / ٣٤٦)

"فبعد تبرئته من الجنون، تجيء الشهادة الكبرى والتكريم العظيم ، وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم، ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم الوجود، ويعجز كل قلم، ويعجز كل تصور عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود وهي شهادة من الله في ميزان الله لعبد الله يقول له فيها : (وإنك لعلى خلق عظيم)، فمدلول الخلق العظيم هو ما هو عند الله مما لا يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين، وإن طاقة محمد ﷺ لتلقي هذه

الكلمة، من هذا المصدر، وهو ثابت لا ينسحق تحت ضغطها الهائل ولو أنها ثناء ولا تتأرجح شخصيته تحت وقعها وتضطرب، تلقيه لها في طمأنينة وفي تماسك وفي توازن .هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كل دليل..". (دراز، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، ٣٠١).

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ أي وإنك يا محمد لعلى أدب رفيع جم وخلق فاضل كريم، فقد جمع الله فيك الفضائل والكمالات.. يا له من شرف عظيم، لم يدرك شأوه بشر، فرب العزة جل علا يصف محمداً بهذا الوصف الجليل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ ، وقد كان من خلقه ﷺ العلم والحلم، وشد الحياء، وكثرة العبادة والسخاء، والصبر والشكر، والتواضع والزهد، والرحمة والشفقة، وحسن المعاشرة والأدب، إلى غير ذلك من الخلال العلية، والأخلاق المرضية. (م. دراز، ٢٠٠٨م، ١٩٧).

عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أمّ المؤمنين رضي الله عنها فقلت لها: أخبريني بخلق النبي ﷺ، فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ كالقرآن، أَما تقرأ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (مسلم، 1407 هـ - 1987 م، 2/ 417) كتاب الفضائل: باب: عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد حين يأتيه الوحي: رقم الحديث:1568، وعن أنس بن مالك قال: "خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا" كتاب الأدب: باب: بَابُ حُسْنِ الخُلُقِ وَالسَّخَاءِ، وَمَا يُكْرَهُ مِنَ البُخْلِ: رقم الحديث:6938 (البخاري، 1422هـ، 8/ 14)، ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن سجية له وخلقاً، وَتَرَكَ طَبْعَهُ الْجِبِلِّيَّ، فَمَهْمَا أَمَرَهُ الْقُرْآنُ فَعَلَهُ، وَمَهْمَا نَهَاهُ عَنْهُ تَرَكَهُ، هَذَا مَعَ مَا جَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ، مِنَ الْحَيَاءِ وَالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ وَالصَّفْحِ وَالْحِلْمِ، وَكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ. (البغوي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ١٨٨/٨)

ثم ختم له بالشرف الذي ما بعده شرف، ألا وهو شهادة الله له مسجلة في كتابه الخالد ذكراً يتلى على مر العصور شهادة مؤكدة بأنه على خلق عظيم، وأي خلق أعظم من خلق القرآن الذي كان هو خلقه عليه الصلاة والسلام (م. دراز، ٢٠٠٨م، ١٩٧)

مقصد الصبر من أخلاق النبوة: لقد صبر الرسول صلى الله عليه وسلم وبلغ صبره مبلغًا عظيمً ، فجاء التوجيه السماوي لصاحب الرسالة العظمى صلوات الله وسلامه عليه، مخاطباً له "لقد قضى ربك أن تكون بعثتك في هذه الأمة التي فتنتها الدنيا وابطرتها فأعرضت عن دعوتك، وفرض عليك أن تبلغ إليهم رسالته على رغم ما تكابده منهم من مقاومة وعناد فاصبر لقضاء ربك واصبر على تبليغهم واصبر على تكذيبهم، كما صبر أولو العزم من الرسل، ولا تُلقِ سلاحك ولا تفِرَّ من ميدان الجهاد، ولا تعجل بالخروج من قريتك مهاجرا كما فعل صاحبُ الحوت يونس بن متى (صلوات الله عليه)، إذ بعثه الله إلى اهل الموصل، وكان من أمره ما قصه الله علينا في مواضع متفرقة من القرآن المجيد (يونس ، والأنبياء ، والصافات)، ذلك أنه لما كذَّبه قومُه ، توَعَّدَهم بعذابٍ سماوي عاجل، ثم خرج من بينهم مغاضباً ومهاجراً ، لذلك أراد الله ألا تتكرر هذه التجربة على يدي خاتم الأنبياء صاحب الخلق العظيم فوصاهُ بملازمة الصبر على عناء الدعوة ، وانتظار الاذن الصريح له بالهجرة ، وقد قام الرسول ﷺ بهذه الوصية خير قيام. (م. دراز، ٢٠٠٨م، ٢١٨).

المطلب الثاني : المقاصد القرآنية من قصة أصحاب الجنة وعاقبتهم:

بعد أن بسط الله في الآيات السابقة الخصال العشر التي أقسم بها من يكذب بالوحي والنبوة، والتي تحدث بها عن الوليد بن المغيرة، وكانت خاتمة هذه الخصال العشران فتنته بالمال والبنين كانت سبباً في بطره وفي تقوله على القرآن أنه اساطير الأولين، أما مقالته هذه فقد لقيت جزاءها في قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ ، واما فتنته التي كانت سبباً في هذه المقالة، فقد أراد الله أن يبين ما فيها من ضلال في التفكير، وغفلة عن سنن الله في تدبير الامور، فضرب له

ولأمثاله بقصة اصحاب الجنة لتكون مثلاً ممن انعم الله عليهم بسعة الرزق، كما انعم على هؤلاء ليختبرهم أيشكرون النعمة ام يبطرونها فغرتهم النعمة كما غرت من قبلهم وابطرتهم كما ابطروا، فكانت عاقبة أمرهم خيبة أملهم وزوال النعمة عنهم وذلك هو مثل أصحاب الجنة الذي قصه الله علينا في هذه السورة الجليلة قصتهم (دراز، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، ٢٠٢-٣٠٣).

والمتأمل في هذه القصة، يراها زاخرة بالمفاجآت، وبتصوير النفس الإنسانية في حال غناها وفي حال فقرها، في حال حصولها على النعمة وفي حال ذهاب هذه النعمة من بين يديها، فهي قصة فيها خمسة فصول، أربعة منها تمثل تقلبات النفس الإنسانية وانفعالاتها المختلفة، وواحد منها (يتخللها) يصور تصريف القدر وسخريته من تدبير الإنسان (م. دراز، ٢٠٠٨م، ٣٠٦-٣٠٧).

فنحن أمام قصة أصحاب الجنة، وهي جنة الدنيا لا جنة الآخرة وهم يبيتون في شأنها أمرا، ولقد كان للمساكين حظ من ثمر هذه الجنة ايام صاحبها الطيب الصالح، لكن الورثة أرادوا أن يستأثروا بثمرها وان يحرموا المساكين حظهم (قطب، 1423هـ -2003م، 3665/28)، تضمنت قصة أصحاب الجنة مقصدين:

المقصد الأول: حق الفقير على الغني وعقوبة منع حق الله في المال:

قال تعالى: ﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ٢٤﴾

يمضي السياق في السخرية منهم، فيصورهم منطلقين، يتحدثون في خفوت، زيادة في احكام التدبير، ليحتجنوا الثمر كله لهم ويحرموا منه المساكين، وكأنما نحن الذين نسمع القرآن ونقرؤه ونعلم ما لا يعلمه أصحاب الجنة، فتلك اليد الخفية اللطيفة تمتد اليها في الظلام فتذهب بثمرها كله، كأنما رأيناها وهي مقطوعة الثمار بعد ذلك الطائف الرهيب الخفي (قطب، 1423هـ -2003م، 3665/28).

ثم يصور سبحانه احاسيسهم وحركاتهم وقد خرجوا لينفذوا ما عزموا علية من سوء فيقول: فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ، فنادى بعضهم بعضا في وقت الصباح

المبكر، حتى لا يراهم أحد فقالوا في تناديهم: ﴿ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾، قال بعضهم لبعض: هيا بنا لنذهب إلى بستاننا لكي نقطع ما فيه من ثمار في هذا الوقت المبكر، حتى لا يرانا أحد، إذ الغدو هو الخروج إلى المكان في غدوة النهار أي: في أوله (طنطاوي، (د.ت)، ٤٩/١٥).

﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ ﴾ ، يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم، ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ على قوة وشدة، وقال مجاهد: على جد، وقال عكرمة: على غيظ ، قادرين عليها فيما يزعمون ويرمون، ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ فلما رأوها محترقة لا شيء فيها وصارت كالليل الأسود، وهم ينظرون إليها وهي قد أصبحت كالرماد، انكروها وشكوا فيها (طنطاوي، (د.ت)، ٤٩/١٥).

فحين شاهدوا جنتهم– وهي على تلك الحال العجيبة– قال بعضهم لبعض ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾ اننا سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها، لأن هذه الجنة الخاوية على عروشها ليست هي جنتنا التي عهدناها بالأمس القريب، زاخرة بالثمار ثم تيقنوا بأَنها كانت جنتهم (ابن كثير، ١٩٨١م، ٥٣٦/٣).

المقصد الثاني: المقصد القرآني في بيان العبرة والعظة من قصة أصحاب الجنة:

قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

ختم الله سبحانه وتعالى قصتهم بالعبرة والعظة لمن خالف أمر الله تعالى من جحود النعمة وحرمان أهل الفقر والعوز منها فقال تعالى (كَذلِكَ الْعَذابُ) فمثل الذي بلونا به أصحاب الجنة، من إهلاك لبخلهم بما آتاهم الله وانعم عليهم ومنعهم حق المسكين والفقير وبدلوا نعمة الله كفرا (ابن كثير، ١٩٨١م، ٥٣٧/٣)، وقال ابن عباس (رضى الله عنه) هذا مثل لأهل مكة حين خرجوا إلى بدر وحلفوا ليقتلن محمد ﷺ وأصحابه وليرجعن إلى مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر، وتضرب الفئات على روسهم فاخلف الله عنهم واسروا وقالوا انهزموا كاهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا (القرطبي،

1964م، ٢٠/٢٤٧).

﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ هذه عقوبة الدنيا، وعذاب الآخرة أشق وهذا يدل على أن المراد بالعذاب السابق عذاب الدنيا فمثل ذلك العذاب الذي أنزلناه بأصحاب الجنة في الدنيا، يكون عذابنا لمشركي قريش، أما عذاب الآخرة فهو أشد وأبقى وأعظم ولو كانوا من أهل العلم والفهم، لعلموا ذلك، ولأخذوا منه حذرهم عن طريق الإيمان والعمل الصالح (طنطاوي، (د.ت)، ١٥/٥٢).

المطلب الثالث: المقصد القرآني في مآل المتقين والمكذبين وعدم المساواة في الجزاء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

بعد أن توعد الله الكفار بالعذاب على أن هذا العذاب الأدنى ليس شيئا مذكورا بجانب العذاب الأكبر الذي ينتظر المكذبين يوم القيامة على أن ذلك للعذاب أشد هولا واطول امدا لو يعلمون ذلك حق العلم ما أصروا على عنادهم، فكان من رحمة الله أن أتبع هذا الوعيد الشديد بالوعيد الكريم الذي يخفف من وقعه على نفوس الفريقين (م. دراز، ٢٠٠٨م، ٢٠٦-٢٠٧).

وفيه مقصدان:

المقصد الاول: بيان مآل المتقين: فقال تعالى : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾

فلما ذكر حال اهل الجنة الدنيوية وما أصابهم من النقمة حين عصوا الله عز وجل، بين ان لمن اتقاه واطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقطع نعيمها، فإن للمتقين جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا (ابن كثير، ١٩٨١م، ٢٠/٢٤٦).

المقصد الثاني: مآل المكذبين وعدم المساواة في الجزاء:

قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

مقصد العدل في الجزاء مثلته الآية الكريمة بطريقة الاستفهام الانكاري ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾؟ أَيْ أَفَنُسَاوِي بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ فِي الْجَزَاءِ؟ كَلَّا

وَرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فكيف يتساوى الفريقان حاشا لله، فصوّرت الآية الكريمة منزلة من اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة أن له جنّات النّعيم التي لا تبيد ولاينقضي نعيمها، فجاءت الإجابة الربانية :

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ يقول دراز: "أنجور في الحكم ونسوي بينهم في الجزاء، وهم ليسوا سواء؟ معاذ الله أن يظلم ربك أحدا، وكأن الدعوى التي سبقت الآيات التالية ردها ليست هي جعل المسلمين كالمجرمين في الشقاوة، بل جعل المجرمين كالمسلمين في السعادة والكرامة ... إن هذا الرد جاء على إثر وعد المتقين فقدم ذكر المسلمين لينضم الشكل الى شكله، فهو أن تسوية المسلم بالمجرم حط من رتبته وبخس من حقه، فهو ظلم بيّن، وأما تسوية المجرم بالمسلم، فقد تعد تفضلاً وتكرماً عليه بما ليس من حقه..." (م. دراز، ٢٠٠٨م، 208–209).

﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ "أَفَبِأَيْدِيكُمْ كِتَابٌ مُنَزَّلٌ مِنَ السَّمَاءِ، تَدْرُسُونَهُ وَتَحْفَظُونَهُ وَتَتَدَاوَلُونَهُ، بِنَقْلِ الْخَلَفِ عَنِ السَّلَفِ، مُتَضَمِّنٌ حُكْمًا مُؤَكَّدًا كَمَا تَدَّعُونَهُ؟ ... أَمَعَكُمْ عُهُودٌ مِنَّا وَمَوَاثِيقُ مُؤَكَّدَةٌ؟ ... سَيَحْصُلُ لَكُمْ مَا تُرِيدُونَ وَتَشْتَهُونَ، ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ أَيْ قُلْ لَهُمْ مَنْ هُوَ الْمُتَضَمِّنُ الْمُتَكَفِّلُ بِهَذَا! قال ابن عباس: أيهم بذلك كفيل" (ابن كثير، ١٩٨١م، 5٣٧/2).

الخاتمة

وعند محطة الختام نستخلص أهم النتائج التي توصلنا إليها في بيان اهم المقاصد القرآنية في سورة القلم وهي:

1. المقصد الرئيس في سورة القلم الدفاع عن النبي ﷺ، وتبرئته من الجنون وأشارت إلى عظمه الرسول ﷺ وأنه صفوة خلقه ومكانته العالية عند الله تعالى.

2. يقصد من استفتاح السورة بالحرف المقطع (ن) أن العلم والمعرفة هما الأساسان اللذان يرتكز عليهما تحقيق النجاح في الدنيا والآخرة، وأن الله يكرم أولئك الذين يسعون إلى العلم والمعرفة.
3. تتضمن سورة القلم دعوة مستمرة للمسلمين للتفكر والتدبر في آيات الله، وفهم مقاصدها وحكمها، إذ يُعرض في السورة قصص وأمثلة على الأمم السابقة التي عُذِّبَت بسبب تكذيبها لرسل الله وتجاهلها لآياته.
4. في سورة القلم مقاصد عدة تُسَلِّط الضوء على أهمية التزام المسلمين بالأخلاق الحميدة، مثل الصدق، والورع، والتواضع، والاعتدال في الحياة، والاستقامة على الحق، وعدم الانجرار وراء الشهوات الدنيوية.
5. تُعزِّز هذه المقاصد قواعد الأخلاق الإسلامية الرفيعة وتعزز التكامل الاجتماعي والأخلاقي في المجتمع المسلم.
6. من مقاصد سورة القلم أن الصبر والاستقامة هما السبيل الأمثل للتغلب على التحديات والصعوبات وتُعزيز فكرة أن الله سبحانه وتعالى هو الحامي والمعين للمؤمنين، وأن الصبر والاستقامة هما الأساس في تحقيق النجاح والسعادة.
7. من مقاصد سورة القلم أن الدعوة الصالحة والإصلاح في المجتمع من أهم مقاصد الإسلام ورسالة المسلمين في العالم وحث المسلمين على أن يكونوا رسلاً داعين إلى الخير والحق، ومنصِّرِين للمروءة والفضيلة.

المصادر

القرآن الكريم

- ال خطاب، إياس محمد حرب (2011م). ***القول المعتبر في بيان الاعجاز للحروف مقطعة في فواتح السور***. ط1. السودان – الخرطوم: مطابع برنتك للطباعة وتغليف.

- الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم (١٩٨٦م). ***الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم***. ط1.(تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري). بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية.
- ابن عاشور– بن الخوجة، محمد بن الطاهر التونسي – محمد الحبيب (2004م). ***مقاصد الشريعة الإسلامية***. ط1. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية.
- ابن عاشور، محمد بن الطاهر التونسي (1984م). ***التحرير والتنوير***. ط1. تونس: الدار التونسية للنشر.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الاندلسي (1422هـ). ***المحرر الوجيز في تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن عطية)***. ط1. (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، (1399هـ – 1979م). ***معجم مقاييس اللغة***. ط1. بيروت –لبنان: دار الفكر.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر،(1981م). ***مختصر تفسير ابن كثير***. ط7. (اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني). بيروت – لبنان: دار القرآن الكريم.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي،(1414هـ). ***لسان العرب***. ط3. بيروت – لبنان: دار صادر.
- الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، (1415هـ). ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(تفسير الألوسي)***. ط1. (تحقيق: علي عبد الباري عطية). بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.
- بن حنبل، أحمد، (2001م). ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***. ط1. (تحقيق: شعيب الرنؤوط – عادل مرشد). بيروت – لبنان . مؤسسة الرسالة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، (1422هـ). ***الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه***.ط1.

(تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر). دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

- البغدادي المقري، أبو القاسم سلامة بن نصر بن علي،(1404هـ). ***الناسخ والمنسوخ***. ط1. (تحقيق: زهير الشاويش- محمد كنعان). بيروت-لبنان: المكتب الإسلامي.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن المسعود، (1997م). ***معالم التنزيل في التفسير القرآن(تفسير البغوي)***.ط4. (تحقيق: محمد عبدالله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش). بيروت – لبنان. دار الطيبة – دار إحياء التراث العربي.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر،(1418هـ). ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل***. ط1. (تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي). بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، (1983م). ***التعريفات***. ط1. (تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء). بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (1974م). ***الاتقان في علوم القرآن***.(د.ت).(تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (1426هـ). ***مراصد المطالع في المقاطع والمطالع***. ط1. (تحقيق: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر). المملكة العربية السعودية – الرياض: دار المنهاج.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (د.ت). ***لباب النقول في أسباب النزول***.(د.ط). (ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي). بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

- الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، (1411هـ –1990م). ***المستدرك على الصحيحين***. ط1. (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا). بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية.
- حامدي، عبدالكريم (2008م). ***مقاصد القرآن من تشريع الاحكام***. ط1. بيروت –لبنان: دار ابن حزم.
- حوّى، سعيد (1424هـ). ***الأساس في التفسير***. ط6. القاهرة – مصر: دار السلام.
- الداني، أبو عمرو (1414هـ –1994م). ***البيان في عدّ أي القرآن***. ط1. (تحقيق: غانم قدوري الحمد). الكويت: مركز المخطوطات والتراث.
- دراز، محمد عبد الله (١٤٣٩هـ –٢٠١٨م). ***من روائع التفسير***. ط1. بيروت– لبنان: دار برهون.
- دراز، محمد عبدالله (2005 م). ***النبأ العظيم***.ط1. بيروت – لبنان: دار القلم.
- دراز، محمد عبدالله (2008م). ***حصاد القلم***. ط2. (تحقيق: الشيخ أحمد مصطفى فضيلة). القاهرة – مصر: دار القلم.
- الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب، (1412هـ). ***المفردات في غريب القرآن***. ط1. (تحقيق: صفوان عدنان الداودي). دمشق – بيروت: دار القلم – الدار الشامية.
- الزحيلي، وهبة، (1991م). ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***. ط1. دمشق – بيروت: دار الفكر المعاصر.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله (1957م). ***البرهان في علوم القرآن***. ط1.(تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم). القاهرة – مصر: دار احياء الكتب العربية.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (1407هـ). ***(الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)***. ط3. بيروت– لبنان: دار الكتاب العربي.
- سعيد، محمد رأفت، (1422هـ –2002م). ***تاريخ نزول القرآن***. ط1. المنصورة– مصر: دار الوفاء.

- سيد طنطاوي، محمد، (د.ت). ***التفسير الوسيط للقرآن الكريم***. ط1. مصر- القاهرة: دار النهضة.
- قطب، سيد قطب (2003م). ***في ظلال القرآن***. ط32. القاهرة - بيروت: دار الشروق.
- شرف الدين، جعفر(1420هـ). ***الموسوعة القرآنية، خصائص السور***. ط1.(تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجري). بيروت -لبنان: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار(1995 م). ***أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن***. (د.ط). بيروت – لبنان: دار الفكر .
- الشوكاني. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (1414هـ). ***فتح القدير***. ط1. دمشق – بيروت: دار ابن كثير- دار الكلم الطيب.
- الطبري، أبو جعفر(1420 هـ - 2000م). ***جامع البيان في تأويل القرآن***. ط1. (تحقيق: أحمد محمد شاكر). مؤسسة الرسالة.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين، (1420هـ). ***مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)***. ط3. بيروت -لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (د.ت).***العين***.(د.ط)،(تحقيق: د.مهدي المخزومي- د. إبراهيم السامرائي). دار ومكتبة الهلال.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(2005م).***القاموس المحيط***. ط8. (تحقيق: مكتب تحقيق التراث). بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(1384هـ - 1964م). ***الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)***.ط2.(تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش). القاهرة: دار الكتب المصرية.
- المراغي، أحمد بن مصطفى (1946م). ***تفسير المراغي***. ط1. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

- مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(1987م). ***مختصر صحيح مسلم***.ط6. (تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني). بيروت – لبنان: المكتب الإسلامي.
- المناوي، زين الدين محمد (1990م). ***التوقيف على مهمات التعاريف***. ط1. مصر – القاهرة: عالم الكتب.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي(1992م). ***أسباب نزول القرآن***. ط2. (تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان). الدمام – المملكة العربية السعودية: دار الحميدان – دار الإصلاح.
- الواحدي، ابو الحسن علي بن أحمد(1994م). ***الوسيط في تفسير القرآن المجيد***. ط1. (تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود–الشيخ علي محمد معوض – د. أحمد محمد صيرة – د. أحمد عبد الغني الجمل – د. عبد الرحمن عويس). بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

المجلات الدورية:

- بودوخة، د.مسعود(2011). ***جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن وعلومه***، بعنوان (جهود الامة في خدمة القرآن وعلومه). المغرب – فاس: المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه.
- يوسف، حماد بن محمد (2020م). ***المقاصد القرآنية في سورة (ق)***. مجلة تدبر. العدد:8، السنة الرابعة.